مدخل عام إلى علم العروض

التعريف بعلم العروض

العروض لغة وسبب التسمية:

العروض عروض الشعر، لأنَّ الشِّعر يُعرضُ عَليه، وهو فَواصلُ الأنْصافِ، والعروض تؤنث، والنصف الأول عروض؛ لأنَّ الثَّاني يُبنَى على الأول، وبالتالي عمم الجزء على الكل أو سميت العروض توسعا من آخر تفعيلة في البيت الشعري.

والعَروضُ مِيزانُ الشِّعرِ لأنَّه يعارض بها ووفقا لذلك قيل إن ما وافق هذا الميزان كان صحيحا وما خالفه كان فاسدا ، ومنهم من يجعل العروض طرائق الشعر وعموده.

وإنَّمَا سُمي وسَطُ البيتِ عروضًا؛ لأنَّ العروُضَ وسَطَ البيتِ من البِناءِ، والبَيتُ من الشِّعرِ مَبنِيٌّ فِي اللَّفظِ علَى بناء البَيتِ المَسكُونِ للعَربِ، فقوامُ البَيتِ من الكَلامِ عَرُوضُهُ، كَما أنَّ قِوامَ البَيتِ منَ الخِرَقِ العارضَةُ الَّتِي في وسَطِهِ، لذلك اقتبست أكثر الاصطلاحات العروضية من أجزاء الخيمة ومستلزماتها من نحو (الوتد، السبب، الضرب، المصراع، الركن، وكذلك أسماء بعض الزحافات من نحو الخبن، الطي.. مما يتفق للقماش الذي تصنع منه الخيمة..)

والعروض طريقٌ في عُرْضِ الجبل، وهو ما اعترض في عُرْض الجبل في مضيق ويجمع عُرُض، ومن ثمة قيل إن العروض سميت بهذا الاسم؛ لأنها تبنى على بحور تعد طريقا إلى النظم.

وقد اشتقت مادة العروض من الفعل «عَرضَ: العَرضُ: خِلافُ الطُّولِ، والجَمعُ أَعْراضٌ... ولذلك قيل إن هذا العلم سمي بعلم العروض لكونه مقياس للشعر.

وقال ابن منظور أيضا: استعمل فلان على العروض، وهي مكَّةُ والمَدينَةُ واليَمنُ ومَا حَولَها، قال لبيد

وإنْ لمْ يكُن إلاَّ القِتالُ فإنَّنَا نُقاتِلُ ما بَينَ العَروضِ وخَثْعَما

أي مَا بينَ مكَّةَ واليَمنِ. ووفقا لذلك قيل إن العروض سميت بهذا الاسم تيمنا وتبركا بمكة لأن هذا العلم وضع فيها.

والعروض الناقة الصعبة الميراس، ووفقا لذلك قيل سميت العروض بهذا الاسم لصعوبتها.

والعَروضُ: النَّاحِيةُ، يُقالُ: أَخذَ فُلانٌ فِي عَروض ما تُعجِبُني أيْ فِي طَريقٍ وناحِيةٍ» قال التغلبي:

لكلِّ أُناسٍ منْ معَدٍّ عِمارةٍ عرُوضٌ إليْها يَلجئُونَ وجانِبُ

ووفقا لذلك قيل يحتمل أن يكون علم العروض سمي كذلك؛ لأنه ناحية من نواحي علوم الشعر والشعر العربي ناحية من نواحي علوم العربية.

العروض اصطلاحا:

والعروض علم يختص بدراسة الشعر، من خلاله يعرف وزن الشعر صحيحه من فاسده، وقيل هو بمثابة ميزان للشعر، من خلاله يتم غربلة الشعر وتصفيته مما يشوبه من كسور في الإيقاع، وخلل في الأوزان.

والعروض علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة أو هو ميزان الشعر، به يعرف مكسوره من موزونه، كما أن النحو معيار الكلام به يعرف معربه من ملحونه، وهو علم يبحث فيه عن المركبات الموزونة من حيث وزنها.

وقد عرفه الخطيب التبريزي بقوله: اعلم أن العروض ميزان الشعر، بها يعرف صحيحه من فاسده.

بأنه العلم الذي يدرس الوزن، والوزن هو صورة الكلام الذي نسميه شعرا، الصورة التي بغيرها لا يكون الكلام شعرا. يدرسها لأنها ظاهرة، وكل ظاهرة جديرة بالدراسة وإن لم يعلم الغرض، ويدرسها ليعين القارئ الناقد على التمييز بين الخطأ والصواب، ولعين الشاعر المبتدئ على إجادة فنه واختصار الطريق إليه.

ويعرفه السيد أحمد الهاشمي في كتابه ميزان الذهب هو صناعة يعرف بها صحيح أوزان الشعر العربي وفاسدها وما يصيبها من الزحافات والعلل. ولا حاكم قي هذه الصناعة إلا استقامة الطبع وسلامة الذوق

ثانيا- واضع علم العروض

يرجع رجال التراجم الفضل في نشأة علم العروض إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو:

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ويقال الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن مضر الأزدي البصري، العروضي النحوي اللغوي سيد الأدباء في علمه وزهده ويكنى أبا عبد الرحمن وهو من أعمال عمان من قرية من قراها انتقل إلى البصرة مات سنة خمس وسبعين ومائة عن أربع وسبعين سنة وقيل توفي سنة سبعين.

المدارس النحوية الفهرس ويقال إنه يختلف منذ نعومة أظفاره إلى حلقات المحدثين والفقهاء وعلماء اللغة والنحو وقد أكبَّ اكبابا على حلقات أستاذه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، كما أكبّ على ما نقل من علوم الشعوب المستعربة، وخاصة العلوم الرياضية، وكان صديقا لابن المقفع وقد قرأ ما ترجمه.

وللخليل كتب نفيسة ، منها : كتاب العَروض ، وكتاب النغم ، وكتاب الإيقاع ، وكتاب النقط والشكل . ومعظم ما في (الكتاب) الذي جمعه تلميذه سيبويه منقول عنه بألفاظه . (موسوعة العروض

والخليل أحد أئمة اللغة والأدب في القرن الثاني للهجرة، فابن خلكان يذكر أن الخليل كان إماما في علم النحو، إنه هو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود، وحصر أقسامه في خمس دوائر يُستخرج

منها خمسة عشر بحرا، ثم زاد الأخفش بحرا واحدا وسماه الخبب، كما يذكر أن الخليل كان له معرفة بالإيقاع والنغم، وتلك المعرفة أحدثت له علم العروض، فإنهما متقاربان في المأخذ.

ويحدثنا ياقوت عن الخليل بن أحمد بأنه أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب، وأن معرفته بالإيقاع –بناء ألحان الغناء على موقعها وميزانها – هي التي أحدثت له علم العروض.

من ذلك يُرى أن الخليل هو أو مبتكر لعلم العروض، وحصر كل أشعار العرب في بحوره، ...ولكن لا ينبغي أن يفهم من وضع الخليل لعلم العروض أن العرب لم تكن تعرف أوزان الشعر من قبل، فالواقع أنهم كانوا قبل وضع علم العروض على علم بأوزان الشعر العربي وبحوره على تباينها، وإن لم تكن تعرفها بالأسماء التي وضعها الخليل لها فيما بعد.

دوافع علم العروض:

يختلف الرواة بشأن الباعث الذي دعا الخليل إلى التفكير في علم العروض

فمن قال: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علما لم يسبقه إليه أحد ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه، ففتح عليه بعلم العروض

ومن قائل: إن الدافع هو إشفاقه من اتجاه بعض شعراء عصره إلى نزم الشعر على أوزان لم يعرفها العرب ولم تسمع عنهم؛ ولهذا راح يقضي الساعات والأيام يوقع بأصابعه ويحركها حتى حصر أوزان الشعر العربي وضبط أحوال قوافيه.

ومن قائل: إنه وجد نفسه وهو بمكة يعيش في بيئة يشيع فيها الغناء فدفعه ذلك إلى التفكير في الوزن الشعري وما يمكن أن يخضع له من قواعد.

ويقال: إن الخليل كان له ولد متخلف، فدخل على أبيه يوما فوجده لقطع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس وقال:إن أبي قد جنَّ فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه، فقال مخاطبا له:

لو كنتَ تعلمُ ما أقول عذرْتني أو كنتَ تعلم ما تَقول عذَلتُكا

لكن جهلتَ مقالتي فعذَلتني وعلمت أنك جاهل فعَذرتُكا

يروي ابن خلكان أن الخليل إنما اخترع علم العروض من ممر له بالصفارين، من وقع مطرقة على طست... أو إنه كان يمر يوما بسوق النحاسين وهو يدير بيتا من الشعر في رأسه، فوافق تتابع حركاته مع تتابع طرق النحاسين على آنيتهم، وتوافقت سكناته مع توقف المطارق على الآنية فالطرق حركة والتوقف سكون وهكذا أدرك أن موسيقى البيت إنما جاءت من حركات وسكنات منتظمة، وأجرى ذلك في بقية الأنواع حتى استوى له هذا العلم كاملا (التجديد فيه

وهناك من يزعم بأن الخليل مر بالمدينة حاجا فرأى شيخا يلقن غلاما بيتا من الشعر، فسأل الخليل هذا الشيخ عما يعلمه للصبي، فرد عليه قائلا : هذا علم يورثه السلف للخلف يسمى التنعيم لقولهم فيه نعم وبيته:

نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا

قال الخليل فرجعت بعد الحج فأحكمتها.

ثالثا- الحاجة إلى علم العروض وبيان أهمية:

- يساعد على التفطن لما يزدان به الشعر العربي من اتساق في الوزن وانسجام في الموسيقى

- يزود القارئ والمتذوق بما يعزز ذوقه ويرهف أذنه الموسيقية

- عدم معرفة الشاعر الموهوب بأوزان الشعر وبحوره المختلفة قد يحصر تجربته الشعرية في أوزان خاصة، وبذلك يحرم فنه من العزف على أعلى أوتار شتىّ، تجعل شعره منوّع الأنغام والألحان

- أداة لفهم الشعر وقراءته قراءة صحيحة، والتمييز بين السليم منه والمكسور.

- المحافظة على الشعر العربي من الكسر ومن دخول مالا يجوز فيه من التغييرات

- تمييز الشعر العربي الأصيل عن غيره مما ليس بشعر كالسجع

- تيسير نظم الشعر ومعرفة الأصول الموسيقية لكتابته .

كما أن ثمة العديد من الفوائد لمعرفة علم العروض منها :

- صقل موهبة الشاعر، و تهذيبها وتجنيبها الخطاء والانحراف في قول الشعر.

- أمن قائل الشعر على شعره من التغيير الذي لا يجوز دخوله فيه، أو ما يجوز وقوعه في موطن دون آخر.

- التأكد من معرفة أن القران الكريم والحديث النبويّ الشريف ليسا لهما بشعر معرفة دراسة لا تقليد؛ إذ الشعر ما اطردت فيه وحدته الإيقاعية التزاما (يتقيد بوزن وإيقاع موحد)أي كلام موزون قصدا بوزن عربي .

- التمكين من المعيار الدقيق للنقد، فدارس العروض هو مالك الحكم الصائب للتقويم الشعري، وهو المميز الفطن بين الشعر والنثر الذي قد يحمل بعض سمات الشعر.

- معرفة ما يرد في التراث الشعري، من مصطلحات عروضيّة، لا يعيها إلا من له إلمام بالعروض ومقاييسه.

- الوقوف على ما يتسم به الشعر من اتساق الوزن، وتآلف النغم، ولذلك أثر في غرس الذوق الفنيّ وتهذيبه.

- القدرة على قراءة الشعر قراءة سليمة وتوقي الأخطاء الممكنة بسبب عدم الإلمام بهذا العلم

- دراسة علم العروض تعين على اكتشاف الحروف أو الكلمات المحذوفة التي قد تواجه القارئ أو السامع، فمثلا حرف الواو قد يكمل وزن التفعيلة كما تعين على إظهار التنوين الذي أهملته بعض الكتب والتفريق بين النون الخفيفة والنون الثقيلة المشددة وضبط حروف الكلمة وغيرها من التفاصيل العروضية الدقيقة

- دراسة العروض تحفظ للغة العربية رونقها ورقيها وتميزها عن اللغات الأخرى

- تصون للشعر العربي مجده ورقيه على باقي الفنون الأدبية